

## أزهار وأشواك مذكرات ضابط فلسطيني

حسن أبو رقبة

بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005. 215 صفحة.

في العقد الأخير من القرن العشرين انهمك المقدم حسن أبو رقبة في وداع كثيرين من الضباط الفلسطينيين والسوريين، فكان كلما توفي واحد منهم رثاه بمقالة وافية. وحينما سألته مرة عن سر هذه العلاقات المتشعبة والحميمة بهؤلاء العسكريين أجابني أنهم كانوا معاً في دورة قطنا للضباط في سنة 1948، وهؤلاء جميعهم إما أنهم رفاقه وإما مدربيه وإما رؤسائه وإما مرؤوسيه. والحقيقة أن دورة قطنا للضباط الفلسطينيين علامة مهمة في التاريخ المعاصر للحركة الوطنية الفلسطينية. وكان للضباط الذين تخرجوا منها شأن كبير في تكوين المؤسسات العسكرية والسياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية في ما بعد، وللفضائل الفلسطينية المتعددة. وهذا الكتاب الذي قدم له أنيس صايغ هو، في بعض صفحاته، إعادة اعتبار لهذه الدورة المهمة وتأريخ لها في آن. وهو، فوق ذلك، سيرة ذاتية لضابط وصحافي ومقاوم وإداري معاً، وهي وظائف قلما اجتمعت في شخص واحد.

يروى حسن أبو رقبة تفاصيل حياته في مدينة عكا منذ ولادته في سنة 1929، وكيف درس عند الخوجة حسن في حي القلعة، ثم عند الراهبة مرتا في كنيسة اللاتين. والواضح أن حسن أبو رقبة كان ينتمي إلى عائلة موسرة؛ فقد بلغ مصروفه اليومي، وهو دون العاشرة، عشرة قروش فلسطينية حينما كانت تكلفة وجبة الغداء الكاملة بقرش واحد (ص 16). وثمة إشارة إضافية إلى يسار العائلة هي كثرة الصور في الكتاب التي تعود إلى ثلاثينيات القرن العشرين وأربعينياته. والمعروف أن العائلات الفلسطينية الفقيرة قلما احتفظت بسجلات مصورة لأبنائها، ولا سيما إذا كانت هذه العائلات ريفية المنشأ. لكن عائلة أبو رقبة ليست ريفية على الإطلاق، وإنما مدينية تماماً. واللافت أن هذه العائلة الفلسطينية ذات صلة قرابة بالرئيس الحبيب بورقيبة. وفي الكتاب صورة للرئيس التونسي في منزل آل أبو رقبة في عكا كبرهان على هذه القرابة.

يجول الكتاب في الأماكن الأولى في عكا، تلك الأماكن التي صنعت الذاكرة ولم تتمكن سنوات اللجوء والمنافي من محوها قط. إنها سينما رويال وسينما البرج (داخل الأسوار) وسينما الأهلي (خارج الأسوار)، ونادي أسامة بن زيد والنادي الأورثوذكسي والنادي القومي وكنيسة ساحة عبود وجامع الجزار ومقبرة النبي صالح وساحة المدورة وحديقة البهجة وقصر العجم ومقهى البحر وقهوة غرناطة وقهوة حابو ومسبح المشيرفة، وأكل الخس والتوت والفول الأخضر في النزعات، والتهام الحلويات المصنوعة من القرع واليقطين عند أبو صلاح سعد الدين.

إن هذا الفتى الذي تلقى قبولاً لدراسة الطب في جامعة فؤاد الأول (القاهرة لاحقاً) أثار أن يلتحق بمدرسة الضباط في قطنا في ربيع سنة 1948 أملاً بأن يتمكن من العودة إلى فلسطين لدحر القوات الصهيونية. لكن عكا ما لبثت أن سقطت في 1948/5/18، وراح هذا الطالب الضابط الراحل يفتش عن أهله حتى عثر عليهم في برج البراجنة في لبنان. ومنذ ذلك التاريخ بدأت الرحلة الصعبة في الجيش السوري، ثم في الحياة العامة.

إن أمتع ما يتضمنه هذا الكتاب هو الإسهاب في الكلام على دورة قطنا للضباط الفلسطينيين. فهذه الدورة التي ضمت 65 ضابطاً فلسطينياً قُبضَ لهؤلاء أن يتسلموا، في معظمهم، في ما بعد، مناصب مهمة في جيش التحرير الفلسطيني، أو أن يساهموا في تأسيس بعض المنظمات المقاتلة. ومن الأسماء البارزة في هذه الدورة: وجيه المدني، مصباح البديري، فايز جابر، علي بشناق، صبحي الجابي، محمد الشاعر، عبد الرزاق اليحبي، طاهر دبلان، سمير الخطيب، عثمان حداد، عبد العزيز الوجيه، جواد عبد الرحيم، رشيد جربوع، محمد أبو حجلة، عبد الفتاح يونس، بهجت عبد الأمين، وليد جاموس... إلخ. ومن 65 ضابطاً هم عديد الدورة بقي 46 ضابطاً في الجيش السوري. لكن، في أثناء الوحدة السورية - المصرية، أحيل 42 ضابطاً منهم على التقاعد التعسفي المبكر بتهمة اليسارية. وهكذا أمسى ابن العائلة العكاوية التي أصابت بعضاً من اليسر قبل النكبة، يسارياً مغضوباً عليه مع الوحدة.

\*\*\*

دائماً كان الإحساس بالتاريخ غائباً إلى حد كبير عن ذوي التجارب السياسية أو الكفاحية. وفي الواقع الفلسطيني قلماً دون القادة الكبار تجاربهم في الحياة والسياسة والنضال. لقد رحل ياسر عرفات من دون أن يسجل تجربته الثرية والمثيرة. وقبله غاب خليل الوزير (أبو جهاد) من غير أن يترك أي مذكرات. وحتى الحاج أمين الحسيني، لولا صفحات هنا وهناك نشرها المفتي قبل رحيله، وجمعها لاحقاً عبد الكريم العمر (وهو من دورة قطنا أيضاً)، لكان في الإمكان القول إنه غادر هذه الدنيا من غير أن يكتب تاريخه الشخصي. واللافت أن هذا الحقل من الكتابة راح يستأثر بانتباه كثيرين في الآونة الأخيرة. ولعل كتاب حسن أبو رقبة يكون شوطاً جديداً في هذه السلسلة الطويلة من المذكرات والسير.

ص. أ. ف.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
[http://www.palestine-studies.org/ar\\_index.aspx](http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx)